

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(٢٢)

خواتم حول سورة الرحمن

مولانا
العارف بالله
فضيلة الشيخ / ماهر إسماعيل جاهين

رحمه الله ورضي عنه
وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

أخي الموحّد

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته • ومغفرته ورضوانه • أسأل
الله لي ولأخي المؤمن ولعامّة المؤمنين وخاصّتهم التوفيق
والسداد بمنه وجوده وكرمه ، إنه نعم المولي ونعم النصير •

أخي المؤمن

بين يدي أخي الكريم درس من الدروس الإيمانية التي كان يجود
بها الحق علي يدي مولانا العارف بالله فضيلة الشيخ / ماهر
إسماعيل جاهين - رحمه الله ورضي عنه ، وجزاه عن الإسلام
والمسلمين خير الجزاء •

وإذا قلت لأخي إن تاريخ هذه الدروس يرجع إلى السبعينيات
ولكنها لم تنشر إلى الآن سيعجب أخي ويقول أين كان
المستمعون ؟ وهنا يرد العارفون بالله ويقولون ما قاله مولانا
الراحل فضيلة الشيخ الشعراوي رضي الله عنه ورحمه وجزاه
عن المسلمين خير الجزاء : إن لكل شيء في هذا الكون ميلاً •

لكل شئ ساعة ميلاد

وكانت ساعة الميلاد حينما تلقي أخ مؤمن (شريط الكاسيت) ليستمع إلي درس الشيخ فبهرتة عباراته ، ووصلت إلي قلبه كلماته • هذا ولقد صدق بعض العارفين حينما قال (إن لله عباداً كلما اشتدت عليهم ظلمة الوقت كلما قويت أنوارهم • فمثلهم كمثل الكواكب كلما قويت ظلمة الليل قويت أضواؤها وأين أنوار الكواكب من أنوار قلوب أوليائه ؟ أنوار الكواكب تنكدر • وأنوار قلوب أوليائه لا إنكدار لها • فأنوار الكواكب تهدي إلي الدنيا ، وأنوار قلوب أوليائه تهدي إلي الله •^(١)

وهكذا وبعد أن استمع أخي الطيب إلي ما استمع نسي وقته فسهر ليله واعتكف في حجرته ليسجل وينقل إلينا هذه الإشراقات الربانية كي يعم النفع وصدق سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم حينما قال (رب مبلغ أوعى من سامع) • هدايني وهداك الله أخي سواء السبيل وجمعي وإياك علي صراطه المستقيم وفي جنة (عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين)
صدق الله العظيم •

^(١) لطائف المنن لابن عطاء الله السكندري •

رجاء و اعتذار

أخانا الكريم :

نرجو أن تفتح لنا قلبك قبل أن (تستمع إلينا بأذنك)
ظلت هذه التسجيلات زمناً غير قصير ، و خشينا أن تمتد إليها
أيدينا فنخرج بها عن المراد حينما نلجأ إلى تغيير أو تبديل ،
و كنا نحس بعبء المسؤولية لقصور أفهامنا ، وضعف إدراكنا ،
حتى قيض وهياً الله لنا أخاً شجاعاً فبدأ بالنقل • ونحن بدورنا
شد الله أزرنا ووجهنا إلى العمل ، فقلنا لعل ذلك إذن من
السماء بنشر هذا العلم الجليل •

هذا : وبعد ممارستنا لهذا العمل نعتذر للسادة القراء و المحبين
من ساق الله إليهم هذا الغيث و الرزق العظيم مما يلمسونه
بين أيديهم •

نقدم هذا ونحن نعتذر عن كل تكرار ، أو استطراد ، أو ضعف
للربط بين أطراف الحديث ، وتلك طبيعة الدروس حيث
تختلف كثيراً عن المحاضرة ، لاختلاف مستويات السامعين ،
وتفاوت مداركهم ، و كثرة الأسئلة المتعاقبة التي تدفع كل من
يتصدي للدرس بإعادة معلومة أو تكرارها • ، بل وكانت

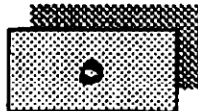
الأسئلة أحياناً تدفعه (رضي الله عنه ورحمه) إلى أن يخرج
عن الموضوع ذاته وحرصاً منا علي المحافظة علي (الهيكل
العام للدرس) آثرنا أن ندون الكثرة الكثيرة مما قاله الشيخ ولم
نحذف إلا القليل - عملاً بنصيحة داعية إسلامي كبير كان
قد استمع إلى الشيخ وجلس معه . قال : لو كنت مكان من
يتصدي لعمل من أعمال هذا الرجل الجليل اللهم . لما حذفت
كلمة واحدة مهما تكررت ، لما أري في كل كلمة من كلماته
نوراً وإخلاصاً فمعدرة حيث تركنا الأمر لإخواننا نفعنا
ونفعهم الله بما نسمع ونقرأ فنستخلص ويستخلصون معنا ما
أفاض الله علي الشيخ (رحمه الله) من علم .
وأملنا في هذا النشر أن ينفع الله به عباده المؤمنين ، فإن كان
التوفيق فهو من الله وحده . وإن كان غير ذلك نقول
لأخينا القارئ (فاصفح الصفح الجميل) .
وما توفيقنا إلا بالله

أمل ورجاء

نأمل بمشيئة الله حينما يوفق أخونا إلي تسلم نسخة
من هذه الكتيبات ألا تقف بهذا العلم عند
القراءة وكفي .

بل كل ما نأمله لنا ولإخواننا القراء جميعاً أن
يتحول العلم إلي سلوك وممارسة حسب توفيق الله
لنا .

كما نرجو أن تنقل هذه المفاهيم إلي إخواننا
المؤمنين إما مشافهة ، أو بتبادل القراءة .
والله ولي التوفيق ،،،



خواطر حول سورة الرحمن من المعاني التي يدور حولها الدرس

١- الوسوسة التي تكون في الصلاة لم تبدأ في الصلاة . بل هي تصوير لواقع الإنسان ، ولأن الصلاة نور كشفت حقيقة الإنسان .

٢- إذا وجد الإنسان الوسوسة فعليه أن يستعذ بالله من الشيطان الرجيم داخل الصلاة . ويفضل أن يستعذ بالله من الشيطان الرجيم قبل دخوله في الصلاة . وأن يقرأ قول الحق (وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ . وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ)

٣- العبد الذي يعرف خالقه لا يحجبه الكون عن المكون .

٤- لو كان القرآن من عند غير الله لأصابنا الملل من كثرة ترديده ونحن نقرأ الفاتحة في اليوم (١٧) سبع عشرة مرة . ومع هذا فإننا لا نمل ، لأنه تنزيل من حكيم حميد .

٥- (الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) القرآن . كتاب الله . وقد يفسر ويحتمل

معني كلمة (القرآن) أي الشئ المقروء ، لأن الله علم
الحيوانات ، و الطيور ، و الجمادات أن تقرأ ما كلفها
المولي به و نعني به ما سخرها الله • مثل قوله تعالى :
(وَأَوْحِي رَبِّكَ إِلَى النَّحْلِ) و مثل قوله عز وجل (قَالَتْ
نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ
وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) •

٦- لما كان خلق الإنسان من صلصال من حمأ مسنون •
وكان الجن من نار لهذا كانت النار ملازمة للإنسان •
لذا جري الشيطان من بني آدم مجري الدم ، لأن النار
إحدي عناصره •

٧- أن احداً لن يعجز الله في شئ • (يَمَعْشَرُ الْجِنِّ
وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ) •

خواطر حول سورة الرحمن

الحمد لله • نحمده ونستعينه ، و نصلي ونسلم علي من
أرسله ربه رحمة للعالمين •

بدأ الشيخ حديثه في هذه الليلة بعد أن أجاب فضيلته عن
أسئلة المستمعين حيث جري الحديث طويلاً عن قصة سيدنا
يوسف عليه السلام • وسؤال آخر عن الوسوسة داخل
الصلاة • وبين الشيخ أن الوسوسة لم تبدأ في الصلاة بل ما
أحس به المسلم في صلاته ، إنما هو انطباع لحالته ، ولأن الصلاة
نور وبرهان فقد كشفت له حقيقة أمره كي يعالج حاله •
ومما أرشد إليه المستمعين أن قال لهم : عندما تشعرون بشدة
الوسوسة في الصلاة أباح الشارع الحكيم لك أن تستعذ بالله
في سرك من الشيطان الرجيم داخل الصلاة ، ولا حرج في هذا
أما فيما يختص بقصة سيدنا يوسف عليه السلام • فلقد رأينا
الاكتفاء بما سبق أن قيل فيها في كتيب سابق • و نعود فنقول :
بدأ الشيخ (رحمه الله) حديثه الليلة بمقولة صوفية شهيرة
وهي أن العبد الذي يعرف ربه لا يحجبه الكون عن المكوّن •
وبين أن من رحمة الحق هي صلاته علي عباده المؤمنين :

(هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) وبين أنا نعيش وسط حجب كثيفة • فعالم الشهادة

يحجبنا عن عالم الغيب • ووضح هذا بمثال فقال :

أمامي الآن (ترابيزه) هي المشهوددة لي ، هذه (الترابيزه)

حجبتني عن النجار • و النجار حجبتني عن الخشب الذي

صنعت منه (الترابيزه) و الخشب حجبتني عن الأرض التي

زرعت فيها الأشجار • و الله يقول وقوله الصدق : (أَفَرَأَيْتُمْ

مَا تَعْرَثُونَ • ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) أرايتم

- رحمكم الله - كيف تكاتفت هذه الأمور المشاهدة كلها

وتضافرت حتي حجبتنا عن الصانع للكون كله وهو الحق ؟

وحيث نرجو أن نكون بهذا قد بينا أننا محجوبون بظلمات

كثيرة كما صوّر الحق (لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)

ولولا رحمته بعباده لهلك من هلك ، وخسر من خسر •

ولكنه عز وجل هو الرحمن الرحيم • وصدق الحق (سَنُرِيهِمْ

ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) •

فمثلاً أنا الآن أشرب الشاي • من الذي أحضر هذا الشاي • ؟

قالوا " فلان " هذا حجبتني عن الله سبحانه • لاني لو سئلت

من الذي قدم لك الشاي ؟ سأقول فلان هذا - لأنه من غير المعقول أني أشد البساط من تحته وأجرده من الفضل . لكن المؤمن ينطق هذا بلسانه وقلبه ينطق بالحقيقة ويقول . لكن الرازق هو الله (**وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ**) .

وعندما قال الله عز وجل في كتابه (**قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ**) جاء الكتاب ليبين لنا صفة المخلوق ، و ما يجب عليه نحو ربه . و صفة الخالق كي نردد تقديسه وتعظيمه ، لأن الحق قد عظم نفسه ، و حمد نفسه قبل أن يحمده خلقه ، ويبين لنا القرآن ما عليه الدنيا ، و ما ستكون عليه الآخرة .

حتي لا تحجبنا الدنيا عن الآخرة . ونصبح ممن وصفهم الحق بقوله (**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**) (**كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ . وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ**) و المؤمن تصديقه دائماً يزداد حتي تصبح اليقظة غالبية علي الغفلة . و الله

قد فرض علينا أن نتذكره كَرَبٍّ في حياتنا الدنيوية . و نتذكره كَرَبٍّ صاحب تكليف ، و تذكره كرب صاحب الجزاء . إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر . فالله كما قلنا إنه يطالبنا بأن نعترف بربوبيته التي عليها الكون ، و نعترف بألوهيته التي

كان بسببها التكليف ولو مرات عابرة في اليوم كما قلنا في الصلاة ، وفي فاتحة الكتاب : ومقابل هذا الاعتراف هو الجزاء الذي بيّنه قول الحق (**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**) ولذلك نريد أن نثبت في قلوب إخواننا أن المراد بالصلاة : الصّلة و علي المؤمن أن يتخلي عن بشريته في الوقت الذي يقبل فيه علي ربه . فيكون عبداً ذليلاً خاضعاً لربه و هذا معني التحلي و عليه فيكون المطلوب في الصلاة التخلي عن البشرية ، و التحلي بالعبودية . ووجه الشيخ أذهاننا إلي حقيقة يجب أن نعيها حيث نسأل : لو كان القرآن من عند غير الله ! لزاد مللنا عند كثرة قراءته ، ولسئمت نفوسنا من كثرة ترديده . . انظروا رحمكم الله هل وجدتم هذا عند قراءة الفاتحة ١٧ سبع عشرة مرة ؟ كلا : لماذا لم نمل ؟ لأنه كلام الله عز جابه . ولذلك قال لو قرأنا حديثاً من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم هذا العدد لحدث الملل لأن فيه (ريحة البشرية) ثم بين أن من رحمة الله أن الأم تحمل و تلد ، و تسهر الليالي الطوال حتي يكبر وليدها . وهي سعيدة بهذا التعب . ولذلك يبكي الطفل عند فراقها حتي لو كان الذي يحمله أبوه ،

لكنه عندما يري أمه يسكن • ألا يدل هذا علي أنه رحمن
رحيم • هذه المعاني تطرقنا إليها مراراً في سورة الفاتحة •
ونحاول التكرار والتكرار حتى لا نحرم من غاب عنا •
وحتى نرسخ هذه المعاني في القلب من كثرة تواجدها معنا لما
للفاتحة من أهمية في الصلاة • ولو دققنا النظر لوجدنا الرحمة
هذه في أنثى الحيوان فحينما تري صغيرها ترخي ضرعها ،
وتفصح له كي يلتقم ثديها • فسبحانك ربي ما أبدعك !
وما أعظمك يا رب العالمين !

ولقد قال الشيخ أن الحق سبحانه كي يبين قدرته خلق
مخلوقات كثيرة تغيب عنا حكمة خلقها • ولقد سأله ذات
مرة شخصية كبيرة فقال له يا سيدنا الشيخ : (عاوزين نعرف
ليه ربنا خلق العقارب) ؟ فرد الشيخ ، وقال : قبل أي شئ
أريد أن أعلم ماذا يستفيد الحق منك ؟ قال لا شئ • فقال
له : لو معك مسدس ودخل عليك عقرب ألا ترتعد فرائصك ؟
ويستولي عليك الرعب وأنت مسلح • ؟ قال : نعم • قال
يكفي أن حشرة ضعيفة كهذه تقلق الإنسان مع صغر
حجمها • ونحن جميعاً مخلوقون مفتقرون إليه وهو الحي القيوم

الذي يلجأ إليه كل أحبابه المؤمنين وهناك أشياء كثيرة نعلمها
ولا نعلم لم خلقها الله ولم نعرف الحكمة في خلقها ؟ . مصداقاً
لقول الحق سبحانه (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ)
وكلمة (شئ) تصدق علي أدني أو أقل شئ من علمه إلا
بمشيئته سبحانه . ويجب أن نؤمن بأن هذا حق ، ودليل علي
القدرة .

ولقد قال الشيخ : انظروا إلي قول الحق في محكم الترتيل (وَمَا
أَوْتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) لو عاش العالم ملايين السنين
ستظل الآية ثابتة . و مضمونها إلي قيام الساعة . و كلمة
(العلم) في الآية تصدق علي أي علم وصل ويصل
إلي الإنسان . سواء أكان دينياً أم اقتصادياً أم فلكياً . أم طياً
حيث إنها تشمل كل ما آتاه الله من علم لبني البشر لأنه
العليم : ولأنه لا يشاركه أحد في الاسم : ثم قال : مما وصف
الله به نفسه في فاتحة الكتاب أنه (رَحْمَنٌ رَّحِيمٌ) ورحمن صفة
ذاتية لله سبحانه وتعالى ، تجمع بين صفة الجمال و الجلال .
وأسماء الله الحسنى كلها تدور بين الجمالية و الجلالية :
(الرَّحْمَنُ) تجمعهما . ولولا الرحمن ما انتظم العالم .

ولعجز البناء الذي يبني أن ينظم أو يضع طوبة منسقة مع الطوبة التي تحتها • و العالم كله قائم علي اشتقاق صفة (الرَّحْمَنُ) ولأهمية الصفة كانت هناك سورة في القرآن (سورة الرحمن) لكن لا توجد سورة تسمى (الله) مع أن الصفتين ذاتيتان : ولفظ الجلالة أيضا يجمع صفات الجلال والجمال • ولذلك جاءت السورة (الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ) سبق أن بينا رأي الشيخ في كتيب سابق أن المراد بالقرآن : كلام الله • وقد يراد به المقروء بمعنى أنه أقرأ كل المخلوقات كل ما طلب منها فهي مسخرة لإرادته • وتعلم ما كُلفت به • ولذلك استدلنا سابقاً ما يؤيد هذا وهو قول الحق " (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ) • (قَالَتْ نَمَلَةٌ • يَأَيُّهَا النَّملُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ) من الذي علم هذه المخلوقات إلا الله وحده ؟

ولما بين الشيخ أن المراد بالقرآن قد يطلق علي قراءة المخلوقات ما هيأه الله لها و هذا سابق في الزمان علي نزول القرآن بدليل (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) ثم كانت الرسالة الخاتمة بنزول القرآن علي النبي العدنان صلوات ربي وسلامه عليه ثم جاء بعد ذلك (الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ • خَلَقَ الْإِنْسَانَ • عَلَّمَهُ

الْبَيَانُ) (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) فلا تثبت تلك
المخلوقات وجودها إلا بذكر خالقها والتسبيح كما قلنا (إما
بلسان الحال بمعنى ظهور التسخير والانقياد • وتأدية
الرسالات لكل مخلوق) : أو ذكر الله بلسان المقال بمعنى لكل
أمة من هذه الأمم لغتها التي تسبح بها ربها (وَلَكِنْ لَا
تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) ونذكر فكاكة صوفية جميلة لمولانا الراحل
فضيلة الشيخ الشعراوي (طيب الله ثراه) أنه قال تناقش
صوفيان فأراد الأول أن يذكر فضل الله عليه • فقال لأخيه :
تصور أي أردت أن أبصق علي الأرض فسمعت تسبيح الحصي
فأمسكت • ولكن الثاني ما إن سمعه وكان أكثر حجة منه)
بصق علي الأرض وقال " مُسَبِّحٌ فِي مُسَبِّحٍ " ومما يؤيد ما قلناه
قول الحق (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا
تَرْجِعُونَ) •

وهل تتصورون معي أن كل هذه المخلوقات مع تسبيحها
لربها لن تكون في الجنة لأن الجنة مقصورة علي المؤمن
الطائع • أما الكافر فهو في النار وتتحول الحشرات كلها علي
العصاة في النار (أعاذنا الله وإياكم منها بفضلہ ورحمته)

ولذلك قال الشيخ لو لم يكن عند النمل علم بالمقروء أُنِي للنملة
أن تنطق بما نطقت به ؟ ولكنه الله المعلم . مَنْ عَلَّمَ الدجاجة
أنها بعد البيض تنام علي بيضها حتي يفقس ؟ وغالب
الحيوانات كذلك - و ترحم من الخروج والحركة . فلا يخرج
إلا مرة واحدة للطعام و الشراب . من الذي علم أنثي
الأرانب بميعاد ولادتها فتقطع الصوف من جلدها : لتهيئ
المسكن لصغارها . إنه الله الذي علم كل شئ (وكل هذه
الكائنات بهذا التصرف دالة علي ربوبية الله عز وجل) .

والله ورث كل الأشياء من سيدنا آدم (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ
كُلَّهَا) وكل إنسان أخذ نصيبه علي القدر الذي كتبه الله له .
وفي كل جيل يبرز الله ما يناسب الجيل الذي يعيشه . والله
يقول (وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) فهذه الأوناث التي ترفع
الأشياء فكرتها مستوحاة من اليد . والسماعات مستوحاة
من فكرة الأذن (والشفاطات) من الأنف . ومن كرم الله أن
الإنسان يتنفس بدون معاناه ومن رحمة الله أن جعل
الأوكسجين في الهواء ملكاً لله . فلا شريك ولا وسيط ولقد
قال الشيخ يستطيع الإنسان أن يستغني عن الطعام اليوم أو

اليومين ، ولكنه لا يستطع أن يحبس عنه التنفس دقيقتين ، من أجل هذا كان التصرف في هذا الشيء لله وحده ، لأنه (رحمن رحيم) والإنسان (نايم بيشم) ، (صاحي ومستيقظ بيشم) ولا يشعر بأدني جهد ، وهذا رزق مباشر ولذلك يلفت الشيخ نظرنا إلى أمر سهل وهام جداً ، قال انظروا إلى الأوكسجين من الهواء الذي نشمه لا يكلفنا قرشاً واحداً ، ومع هذا لا يمكن أن نستنشق أكثر من رزقنا وسبحان من قسم الأرزاق بعدله ورحمته ، وهكذا لا يمكن أن يأخذ الإنسان من أي متاع في الدنيا من مسكن ، ملبس ، مأكّل ، ومشرب إلا قدر ما يكفيه، وما قدره الحق له ثم أضحك الجميع وقال أنت لأجل أن تأكل ، أمرك أن تقطع العيش ثم تمضغه ليسهل الهضم ثم تبتلعه ، لو كلفك أن تشم كي تحصل علي الهواء فلن تستطيع أن تفعل لأنك لن تتمكن لأنك لن توالي الشم ، والإنسان في تناول الطعام مخير ، وفي قضاء الحاجة مجبر .

(خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَالِمَهُ الْبَيَانَ) أي أن الحق أوجد هذا الإنسان العاقل ليبين صفة الله سبحانه (عَالِمَهُ الْبَيَانَ) يبين مراد الله .

غير أن المخلوقات الأخرى تعمل بالفطرة التي خلقها الله فيها .
وهذا يؤيد معني (المقروء) كما فسرنا ، وإلا لو فسرناها
بأنها تعمل بحكم ذاتها لكان معني هذا أن الله لا يعلم ما
تفعله إلا بعد وقوعها من هذه المخلوقات ، وحاشاه أن يغيب
عنه شيء .

(وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ الْأَرْضِ
وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) : وتتساقط الأوراق
بالألوف ، ولا يلتفت أحد إليها : لكن الله الخالق لا يغيب
عنه هذا (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) نحن نؤمن بحسب توفيق
الله لنا وتوحيدها أن الشمس تسير بقدره خالقها ، لكن الكافر
-و العياذ بالله - ينسب هذا إلى الدورة الفلكية ، ولذلك
يقف المؤمن مبهوراً أمام قول الحق (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ
لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) هنا يزداد يقين المؤمن
بخالقه ، ولما سأل أحد المستمعين عن معني قول الحق (لِمُسْتَقَرٍّ
لَهَا) أجاب الشيخ (رحمه الله) قد يراد نهاية العالم السذي
يفسره قول الحق (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ، وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ)
أو (لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا) لِمَنَازِل معلومة تترتب عليها فصول السنة .

كما أن الإنسان العاقل بين مراد الله منه • ولقد وضحنا هذا
بأمثلة في كتيب سابق فهكذا الشمس بحرارتها • وبما يترتب
علي خروجها واختفائها من ليل أو نهار •

وما يتبع هذا مما تنتجه المزروعات ، وما تحدثه من مد وجزر
وزلازل ، وبراكين • كل هذا مقدر في كتاب معلوم (وَالنَّجْمُ
وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ) سأل الشيخ المستمعين : أين النجوم ؟
قالوا في السماء • ثم قال وأين الشجر ؟ قالوا في الأرض ثم
قال • لو سألنا من يملك هذه الشجرة ؟ ومن غرسها ؟ أراد
الحق أن يبين أن هذه الشجرة التي توجد في الأرض • وكذا
النجم المعلق في السماء • هما من خلق الله سبحانه • لا فارق
بين هذا ، وذاك • ولذلك بين في مكان آخر : (أَفَرَأَيْتُمْ مَا
تَحْرُثُونَ • وَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) (وما يبعث
علي الضحك وأقول هذا لتشاركونا الضحك فنشعر أننا
نستمع جميعاً إلي ما يقوله الشيخ) أن الشيخ مكث يبين ويبين
ويسوق الأمثلة علي أن الله سبحانه هو الفاعل لكل شئ حتي
النطق • فحينما تريد أن تنادي شخصاً باسمه تنطق اسمه حرفاً
بعد حرف • من الذي فعل هذا ؟ قال أحد الحاضرين المخ

ضجت القاعة بالضحك • و ابتسم الشيخ وقال يا بني لو
فتحت فمه أو شققت مخه هل تري حروفاً ؟ وهنا تنبه الأخ
الكريم •

نري الشيخ يسوق الأمثلة ويقرر حتي نري ، ونسمع ونعتقد
اعتقاداً يقينياً لا يقبل الشك أو الجدل أن الله هو الخالق لكل
شيء سبحانه •

من المعاني التي يرددها الشيخ حتي تترسخ العقيدة يقول ضع
أمامك قول الله (عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) ولو تصور المسلم
غير هذا لا نطبق عليه قول الحق (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ •
أَنْ رَّاهُ اسْتَغْنَى) •

(وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ) اشارة إلي تحقيق العدل ثم
جاءت الآية بعد (وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ) سخرها
للمخلوقين وضرب الشيخ المثل : يضع الإنسان في الأرض
بذرة ليمون مثلاً وهي واحدة فتؤتي وتثمر بالآلاف ثم يسأل
من أين أتى هذا العدد الكثير ؟

والإنسان - يقول الله في حقه (عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) - يبين ما في
الأرض من أحجار نفيسه ، ومن بترول ، ومن فحم • • الخ

ما في بطون هذه الأرض • فبعمل الإنسان وتسخيره لآلات
الحديثة يظهر ما تكنه الأرض • و نظير هذا قول الحق (**فَأَمْشُوا
فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ**) قال الحق (**كُلُوا مِن رِّزْقِهِ**) :
لأن الرزق من الله •

(**فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ • وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ
وَالرَّيْحَانُ**) • أي بكلمة الفاكهة بصيغة التكثير لتشمل كل ما
يتفكه به الإنسان • و النخل المراد به كل ثمر يجف و النخل
معمّر (**وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ**) النباتات الأخري
كالبقول وغيرها • ثم بين الحق سبحانه أن ما يخرج من الأرض
متعدد الأشكال و الألوان و الثمار • فهكذا بنو الإنسان
مختلفون في أشكالهم و تفكيرهم متباينون في كل شئ •
منهم الصالح و الطالح ، و الفاسق و المطيع ، و الأحمق ، و الحليم
و الطويل ، و القصير • تباين كامل ، أفلا يدل هذا علي وجود
العليم الخبير ؟

(**خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ**) أي أن الإنسان مخلوق
من معادن الأرض كلها ، ولهذا فهو لا يستقر إلا في
الأرض • و الصلصال • الطين المحروق (**وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ**

مَنْ نَارٍ) هنا وجه الشيخ سؤالاً نظنه قد سبق : هل وجود الحسن
خير أم شر ؟ فأجاب بعض المستمعين بأنه شر : قال الشيخ لو
كان شراً لما ذكر في تعداد النعم . (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)
ثم قال متى يكون الطين صلصالاً ؟ قالوا بعد إحراقه بالنار .
قال الشيخ هكذا الشيطان متغلغل في تركيب الإنسان فلولا
ما تحركت الغرائز كافة . من أين يأتي النسل لو لم يثر
في الإنسان غريزة الشهوة ؟ ومن أين يأتي التعمير لو لم يثر
في الإنسان غريزة التملك ؟ ولأن الشيطان خلق لتعمير الدنيا
جعله الله يجري من ابن آدم مجري الدم . ولم يترك الله
الشيطان يفعل بالإنسان ما يشاء . بل حذر المؤمنين مغبة
اتباعه (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) .
فالشيطان يريد أن يفسد علي الإنسان غرائزه فهو ينمسي فيه
غريزة الأنانية ، ويثير فيه الضغائن والأحقاد حتى يكون
الإنسان شريكه في النار (رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ) إذا
أخذنا الآية علي ظاهرها فيكون المراد مشرق الصيف ومشرق
الشتاء . وفي هذا إشارة إلي تلازم الأضداد . ومن المحتمل أن
يكون (الإنسان) ففي إشراقها ميلاد لآثارها . وفي غروبها

إنعدام لهذه الآثار • وهكذا بنو الإنسان فالشروق يناسبه ميلاد الإنسان ، وموته يناسب غروب الشمس (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ • بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ) جعل الله فواصل بين الخير و الشر • ونحن نشاهد البترول يخرج من عمق البحار • وإذا تلاقي مع الماء فإنه لا يختلط به • وهكذا نشاهد في السودان تلاقي النيل الأبيض مع النيل الأزرق ومع هذا لا يختلطان • ومعني مرج البحرين - الخير و الشر - الكفر و الإيمان • الآخرة و الدنيا • كل هذه الأضداد تدخل هنا • وانظروا إلي تركيب الأضداد في الإنسان ! منا من يعبد الله عن رغبة ، ومنا من يعبد عن رهبة • و الصراط المستقيم أن يلتقيا (أي الخير و الشر) في الإنسان • و علي العبد أن يسأل الله السداد •

(يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْؤُ وَالْمَرْجَانُ) اللؤلؤ ، المرجان - يرمزان إلي الخير و الشر في الإنسان • ومعني هذا ليس هناك شئ علي مستوي واحد إلا الله العزيز الجبار (اللَّوْؤُ وَالْمَرْجَانُ) الذكر والأنثي يلتقيان فيخرج من التقائهما الإنسان (وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ) هذا تصوير لمرحلة الحياة الدنيا •

وما ذكر من الشمس ، و القمر ، و النجوم ، و الشجر ،
والإنسان ، و الجن ، كل هذه المخلوقات سفينة تجري لها
بداية ، ولها نهاية • تقوم السفينة من الميناء ثم ترسو
أخيراً علي الشط التي تقف عنده نهايتها • فهذه البداية من
أول السورة ومن قوله (خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ • الشَّمْسُ
وَ الْقَمَرُ حُسْبَانٍ) وبعد أن تنتهي الرحلة وترسو السفينة و
تستقر : (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ) وهنا يسدل الستار علي الحياة
بحركاتها وسكناتها ، لأنه لن يبقئ إلا وجه الله الكريم
(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ • وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)
والآيات التالية تنطق بما سيؤول إليه أمر الكون : (إِذَا
الشَّمْسُ كُوِّرَتْ • وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ • وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ •
وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ • (الآيات) وفي قول الحق (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا
فَانٍ) الأعمال وكل شئ ينتهي • ولا يبقى إلا ما قصد به
وجه الله الأعظم : يدخل الجنة من يدخل ، ويصبغ صبغة
جديدة • ويدخل النار من يدخل • وسبحان من بيده
ملكوت كل شئ •

بعد هذا انتقال إلى مرحلة مهمة • بعد أن ترك الإنس و الجن
 يفعل كل منهما ما يشاء تأتي الآية الكريمة هنا (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا
 خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) حقت عليهم العودة
 وها هم قد عادوا ليستمعوا إلى قول الحق (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ
 الثَّقَلَانِ) وينادي عليهم (يَمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ
 أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ
 إِلَّا بِسُلْطَانٍ) و تنطق الآية قلبها بعدالة الله (يَسْأَلُهُ مَنْ
 فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) فإن كان الحق قد
 ترككم بلا حساب فاليوم حساب بلا عمل • و الله يقول في
 حق الكافرين (يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا
 تَنْتَصِرَانِ) أي لن تجدوا من ينصركم حيث سبقتكم
 آلهتكم المزعومة إلى النار ، وجئ بالرؤساء فقذف بهم في
 جهنم • ويجئ قول الحق بعد هذا قوله (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ) لتبين أن ما نزل بالكفار و المنافقين و العصاة إنما هو
 عدالة السماء (الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ)
 (فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ • فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
 تُكَذِّبَانِ • فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ) في الآية ما

يدل علي تغيير حالة الكون حيث كل ما فيه ينطق بالهول
و الفرع : فيومئذ لا يُسأل لأن كل إنسان وجد جزاء عمله
(يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا) ويحشر كل
إنسان حسب عمله (يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ سَيِّئَهُمْ فَيُؤْخَذُ
بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ) الفصل الثالث (وَلَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ
جَنَّتَانِ) لماذا جنتان : الأولى لمخالفة النفس ، و الثانية لمخالفة
الشیطان : حيث كان الشیطان و النفس يتعاونان علي
الإنسان (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ)
هذا وجه ، الوجه الثاني خاف مقام ربه في الآخرة ، و خاف
مقام ربه في الدنيا و الإنسان يعبد ربه رغبا و رهبا و حبا في
الجنة ، و كراهية للنار و من المؤمنین من يعبد الله لوجه الله كما
عبرت (رابعة العدوية) هؤلاء قال الله في حقهم (فَأَمَّا
إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ • فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ)
و من المعني في قوله تعالى : (وَلَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) جنة
الإحساس بلذة المأكول و المشروب ، و الجنة الثانية لذة الأنس
بالله ، وهي اللذة التي لا تعلوها لذة : يؤيد هذا قول الحق
(زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ

الْمَقْنَطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ (٠٠٠) الى قول الحق (قُلْ أُوْنِبِّتْكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) (وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ) هناك رأي آخر : المؤمن يحصل علي جزائه في الجنة علي قدر عمله . فإذا ما انتقل إلي مكان آخر وجد جنة مشابهة للجنة التي تركها . و الجزاء عين الجزاء (نَزَلَ مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ) .

الناس في الجنة مختلفون في الأنس بالله ، كاختلافهم بالأنس به سبحانه في الصلاة . و حينما قال الحق (وَدَانِيَةٌ عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا) المراد ظلال الأعمال (وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْيِيلًا) (فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) لا يتطلعن لغير أزواجهن : ثم يعجب الشيخ ويقول من المرحلة الإعدادية هنا الأولاد (يبصبصوا) للنساء لكن حور العين (لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ) وحينما قال الحق في كتابه (وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ) عندما تشتهي الثمار تجدها في متناول يدك فيقطع المؤمن ويأكل ولا قشرة للثمار . ويختلف المذاق باختلاف الأعمال و الدرجات .

(هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ) هل جزاء الإحسان في الدنيا إلا الإحسان في الآخرة (جَزَاءٌ وَفَاقًا) هل جزاء الإحسان الرباني حين كتب لك الجنة إلا جزاء الإحسان في التطبيق في الدنيا مثل قوله عز وجل : (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) فلما جازاهم بدخول الجنة لن يكون إلا العمل علي رضا الله وطاعته في الدنيا و الله أحسن إلينا قبل العمل : (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) هل جزاء الإحسان في الواقع إلا جزاء العطاء الرباني وقول الحق (فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ) خاصة بالمقربين أما قوله (فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ) فهي لعامة المؤمنين . قال ابن عباس في قوله تعالى (فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ) ليس في الدنيا من الجنة إلا الأسماء وفي قوله تعالى (فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ) هن لأصحاب اليمين وقوله تعالى (فِيهِنَّ قَصِيرَاتٌ الْطَّرَفِ) لا تتطلع إلا إلى زوجها وقوله تعلي (حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ) لا يراهن إلا أزواجهن (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ) و العرض محفوظ ومؤخر السورة أعطانا صوراً عن مقام المقربين ودرجاتهم ، وما أعد لهم . كما بين جزاء أهل اليمين وما أعد لهم . و الفرق كبير . ويأتي فوق هذا

وذاك قول الحق (**وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**) يفهم من هذا و الله أعلم أن التمتع برؤية الله في الآخرة حسب إحساس المؤمنين بمعية ربهم في دنياهم • فمن عاش مع الحق في الدنيا لا يغيب الحق عنه طرفة عين في الآخرة ، وسيكون في هذا المقام • لا يحتجب الحق عنهم طرفة عين • ولو احتجب عنهم لحظة من الوقت لكان العذاب بالنار أهون عندهم من احتجاب الحق عنهم ثم ختم الشيخ حديثه بالدعاء التالي :

اللهم إنا نسألك الجنة ، وما يقرب إليها من قول أو عمل ،
و نعوذ بك من النار ، وما يقرب إليها من قول أو عمل ،
اللهم اغفر لنا وارحمنا و اهدنا و ارزقنا • اصلح نفوسنا ،
اصلح لنا أزواجنا وذرياتنا وإخواننا و إخوانكم ، وارحم
اللهم والدينا ووالديكم ، و اغفر اللهم للمسلمين و المسلمات
و المؤمنين و المؤمنات ، الأحياء منهم والأموات ، اللهم استر
عوراتنا (أي النقائص التي فينا) و آمن روعاتنا ، و احفظنا
من شرور أنفسنا ، اللهم نسألك فلا تردنا ، وزوج بناتنا
واقض حوائجنا •

وأمتنا علي خير ما نكون من الإسلام • وصلّي الله علي
سيدنا محمد النبي الأمي و علي آله وصحبه وسلم • و الحمد
الله رب العالمين •

رحم الله شيخنا فتح الله حموده
فالعبرة الأخيرة في الدعاء توحى بأنه كان يستشعر قرب
انتقاله إلي الرفيق الأعلى